

# عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 95 / 1 حزيران 2017



[Ayn-almadina.com](http://Ayn-almadina.com)

[facebook.com/3aynAlmadina](https://facebook.com/3aynAlmadina)

مدينة الباب

عدسة عبد - خاص عين المدينة





## بعض دلالات مقتل ريان مشعل

تواترت الأنباء مؤخراً عن مقتل محمد براء كادك المعروف باسم ريان مشعل، أحد أشهر إعلاميي تنظيم داعش وأحد مؤسسي شبكته الإخبارية «أعمق» لمقتل مشعل هذه الأيام دلالات عديدة، أولها أنه دليل إضافي من معالم تفكك الدولة المزعومة وجهازها الإعلامي الذي حاز فيها موقعاً مركزياً. وثانيها أنه إشارة على زمن دفع الثمن بعد سنواتٍ خداعاتٍ من التجبّر عاشها التنظيم وزها فيها عناصره وطغوا، ومنهم مشعل الذي يُنسب إليه تسليم عدد من إعلاميي حلب للتنظيم، أحدهم عبد الوهاب الملا كما يقال، وعدد من الإصدارات المريعة في حق إعلاميين من دير الزور وسواها.

ولكن خبرتنا في الكتابة ضد داعش دلّتنا أن مجرماً كهذا لن يعدم من يترحم عليه واقعاً وعلى الإنترنت. وتأتي الرحمة بتأثيرات مختلفة تتلاقى فيها الشفقة على الميتين بالإعجاب المتعاطف مع «نجوم الجهاد» حتى لو كانوا سفاحين وقتلة، وتزيد وتنقص بقدر المظلمة التي يتعرّض لها المكوّن السنّي في المنطقة. فإذا صودف خبر مقتل مشعل مع خبر استيلاء ميليشيا الحشد الشعبي الطائفية العراقية على أراضٍ سورية، مع ما عرف عن هذه الميليشيا من وحشية وتطرف وتبعية لإيران، فإن عدد من سيفقدون أعصابهم بسبب إضعاف «درع السنّة» الداعشي الوحيد سيكون كبيراً، وهذا ما لم يتوقف «العقلاء» عن التحذير منه طيلة السنوات الأخيرة دون جدوى، فها هي أرض العرب تعطى لحزب كردي متعصب، وأرض السنّة تقع تحت سيطرة خليط من الميليشيات الشيعية متعددة الجنسيات من لبنان إلى أفغانستان، والمظالم تتراكم.

تعليقنا الأخير تعليق شبه خاص، فقد كتب شقيق مشعل على صفحته في فيسبوك أن إعلامي داعش قتل «إثر غارة جوية للتحالف استهدفت منزله في منطقة الميادين بدير الزور». الأرجح في مثل هذه الحالات أن يكون المنزل مصادراً من ملكية أحد ضحايا داعش، وأن يكون مشعل غاصباً محتلاً، مما يزيد من مرارة شعورنا في هذه المجلة، المديرية في اهتمامها ومعظم كوادرها الذين لا يستطيعون أن يوزعوا مجلتهم ولا أن يصلوا إلى منازلهم بسبب أمثال مشعل. رحم الله طفلة التي قضت معه، وحاسبه حساباً عسيراً على ما اقترفت يداها.

12 مجاهدو القرم في ساحات القتال السورية

13 رمضانات مختلفة لسوريين عديدين

16 عن زبغنيو بريجنسكي وزمانه

19 امتحان الشيخ بوطاقة

5-4 أرامل الشهداء في مخيمات الداخل

7-6 فتاوى الثورة... من ولماذا؟

9-8 حراك السويداء الثوري (2 من 2)

11 شهادة معتقل.. من الجوية إلى سجن حماة



## حب في زمن الحرب السورية

أكرم الأحمد

«أنا كمان... أكيد... رح تبقي ذكرى حلوة بحياتي...» بتلك الكلمات همس لؤي من سريره في المشفى لحبيبته سهر عندما كانت تخبره هاتفياً لتطمئن على صحته.

«ما عاد أعرف شو ساوي. ألم الانتظار بيقتلني كل يوم ألف مرة؛ بهذه الكلمات التي ترافقها الدموع خاطبتنا إيمان محمد (25 عاماً) من أهالي سهل الغاب. تنتظر خطيبها الذي اعتقل منذ أربع سنوات على حاجز الحاكورة بالقرب من بلدة الزيارة. تقول: «هو بالنسبة لي كل شيء، لا أتخيل أن تستمر حياتي بدونه. سأنتظره مهما طال الزمن. تحاول أمي إقناعي أنه مات لأن أخباره مقطوعة بشكل كامل، لكنني أشعر أنه حي، أشعر بوجوده معي. لا أستطيع الاقتناع بأنني لن أراه.»

سامر خليف (29 عاماً)، من ريف حماة، يقول: أحببت جهيدة كما لم يحب بشر بشراً آخر، لم أتخيل أن تتركني، لم أتصور في حياتي أنه سيأتي يوم ولا نسهر معاً على التوتس أب لساعات. التقيتها في نزوحنا الأول، وتعارفنا لأننا جيران وكلانا نازح، وسرعان ما شعرت أنها الملاك الذي أنتظره منذ سنين. بادلتني المشاعر، وبارك أهلها وأهلي هذا الحب العذري، وبتنا حديث الأسرتين. بعد سنتين من قصة غرام طويلة تقدمت لخطبتها فبدأت تماطل رغم موافقة أهلها، بل إن أبها كرر على مسمعي مرات أنه سيكون سعيداً جداً في حال تزوجت ابنته. لكن جهيدة الحاملة بالذهاب إلى أوروبا وجدت ضالتها في أحد الذين هاجروا إلى هناك، إذ اتفقت مع ابن جيرانهم الموجود في شمال ألمانيا على التقدم لخطبتها، وطلبت منه الإسراع بلم الشمل!

لضابط المخابرات المسؤول عن أمن جامعة حلب حيث كانت تدرس، وحاول ابتزازها. استعانت وقتها بأبناء بلدها على إحدى غرف السكايب للخلاص منه، فقرر أنس مساعدتها رغم صعوبة الوضع بحلب وعدم معرفته بالفتاة التي تطلب المساعدة، إذ ربما تريد توريث الشاب الذين يتظاهرون في الجامعة وكشفهم. ورغم ذلك استطاع أن يخلصها من ذاك الضابط في ربيع 2012، فزرع الحب في قلبيهما وتعاهدا على الزواج. اضطرت فاطمة إلى مغادرة الجامعة والعودة إلى بلدها في منتصف ذلك العام والتحق أنس بالثوار في حلب. حاولت كثيراً التواصل معه دون جدوى، ولكنها لم تفقد الأمل ببقائه على قيد الحياة. بدأت ضغوط الأهل على فاطمة للقبول بالطبيب الذي تقدم لخطبتها فرفضت وأصرت على انتظار أنس الذي استطاعت التواصل معه من جديد عبر النت في بداية 2015، وعاد الحب ليزهر في حياتها ويتعمق في نفسها. في آب من ذلك العام تحدث معها مطولاً وشعرت أنه الحديث الأخير، أخبرها أنه يتجهز لمعركة في شمال حلب. في اليوم التالي كانت تقلب الفيسبوك فشاهدت صورته مضرراً بالدماء. لم تستطع قراءة الكلمات، كاد قلبها يتوقف عن النبض وهي تحاول القراءة. استشهد أنس ليترك فاطمة غارقة في بحر من الدموع. بعد عام أُجبرت على الزواج من قريب لها لكنها لم تستطع الاستمرار، فصوره أنس لا تفارقها. وبعد شهور من زواجها قررت الانفصال، وهي تعيش الآن على ذكريات الحب.

كان 21 آذار 2013 يوماً لا ينسى في مصير قصة الحب الكبيرة التي جمعت لؤي وسهر ودامت سبع سنوات، عندما تعرض المكتب الإعلامي الذي يعمل فيه الشاب للقصف. أصيب الحبيب المهذب. نقل إلى تركيا. بترت ساقيه ودخل في غيبوبة. لا تكف سهر عن البكاء، ولا تعرف كيف تطمئن عليه، تريد رؤيته. حصلت على رقم الهاتف الموجود مع والدته وكانت ترافقه في المشفى. ما أن عرفت الأم أن المتصل هو سهر حتى انفجرت بالبكاء ولم تعرف ماذا تقول. وقع خبر بتر ساق لؤي كالصاعقة على سهر التي أصرت على مخابراته يومياً، وكان يتم بصوت منخفض متعب: «أنا كمان... أكيد أكيد». بعد الخروج من المشفى قرر قطع علاقته مع سهر رافة بها، فهو لا يريد أن تكمل حياتها مع معاق، وقرر السفر إلى أوروبا على استطاع إكمال دراسته وتركيب طرف ذكي. وكان آخر ما سمعته منه: «ما بدي أظلمك معي.. أنا صرت معاق، وما فيني عيشك. ما عاد فيني أمشي معك ولا أحملك بين يدي. شوي نصيبك». منذ ثلاثة شهور تزوجت سهر من شاب نازح من ريف حماة إلى بلدتهم.

فاطمة (24 عاماً) من جبل الزاوية. تعرفت على أنس الذي ينحدر من قرية قريبة إثر تضحية كبيرة قدمها لأجلها، بعد أن وصل رقم جوالها





## أرامل الشهداء في مخيمات الداخل عمل في الحصاد وتنظيف الحمامات العامة وانتظار كفالة المنظمات الإنسانية

مصطفى أبو شمس

مخيم أطمّة - AFP

كعادتها، تخرج أم علي (57 عاماً) كل صباح للعمل في أحد حقول الريف الشمالي لمدينة اعزاز، لتأتي لأحفادها بما يسد رمقهم، بعد أن فقدت ابنها مصطفى في غارة لطيران النظام على مدينة حلب التي كانت تقطنها مع زوجها وولديها مصطفى وعلي، الذي استشهد بعد أخيه بأشهر قليلة، مخلفين لوالدتهما 11 حفيداً أكبرهم لا يتجاوز الثالثة عشرة، بعد أن فقدت أم علي زوجها في نهاية عام 2015 أيضاً بغارة جوية على مدينة حريرتان التي نزحوا إليها بعد استشهاد ولديها.

لها الحق بالمطالبة، لكنها، وبعد الشكوى إلى إدارة المخيم، تمكنت من الحصول على فروجة واحدة لكل أحفادها.

حال أم علي ليست أسوأ من حال الكثيرات من الأرامل اللواتي يقطن في المخيمات بعد استشهاد أزواجهن، ليبدأن رحلة شقاء جديدة متجاهلات حزنهن، وباحثات عن لقمة عيش «مغمسة بالدم» كما تقول أم سليم، وهي أم لثلاثة أطفال استشهد زوجها منذ سنوات في إحدى المعارك مع قوات النظام في الريف الجنوبي لحلب، لتبدأ - كما قالت - رحلتها تنقلها بين عشر قرى عند أقرباؤها وأقرباء زوجها وبمساعداة قليلة، ليحط بها الرحال في مخيم رفضت أن تذكر اسمه خوفاً من إدارته: «بعد ما استشهد زوجي الناس عزونا وراحوا، وكل حدا انتهى بولادو وحياتو. ونحن إنا الله».

قالت أم سليم إنها راجعت إدارة المخيم أكثر من مرة للعمل في تنظيف الحمامات العامة «التواليات» فيه، وهو العمل الذي يحق لكل امرأة فقيرة أن تعمله لخمس عشرة يوماً كل ستة أشهر مقابل أجر مادي يساعدها على تحمل نفقات الحياة، فهي لا تستطيع العمل في الحصاد والقطاف لأن أطفالها صغار ولا تعرف أين تتركهم. «بتديّن من عند الدكان حق المازوت للبيور وشوية خضرة، وبس اشتغلت بوفيه».

المنطقة كما تقول.

توزع المنظمات الإنسانية بعض المواد الغذائية والمنظفات، ولكن القاطنين في مخيم الريان، بعد أن توقفت منظمة Mercy Corps (فوج الرحمة)، الشهيرة بين النازحين باسم ميرسي كور) عن العمل في المخيم منذ خمسة أشهر، لم يروا أي نوع من أنواع المساعدات رغم أن ما كان يصل قليل، ولكن «بحصة بتسند جرة». الأمر الذي أكده ناصر حسين، أحد العاملين في ميرسي كور، الذي قال: «أوقفت المنظمة عملها في الريف الشمالي لحلب منذ خمسة أشهر لأسباب إدارية تتعلق بإلغاء ترخيص المنظمة في تركيا. وهناك حديث عن إعادة ترخيص المنظمة باسم جديد، فالطريق الوحيد لوصول المواد الإغاثية هو من تركيا». كما يقول إن المنظمة في طور دراسة حلول بديلة كتوزيع «قسائم مالية» بدل السبل الغذائية والمنظفات، والتعاقد مع محال تجارية من أجل صرف هذه القسائم، ولكن الأمر ما زال في طور الدراسة ولم تتضح آليته حتى اللحظة.

تقول أم علي إن هناك بعض المواد الغذائية التي تصل إلى المخيم ولكنها لا توزع بشكل عادل في الغالب. وتحكي لنا قصة الفروج حين رفضوا إعطائها بحجة أن أحد أحفادها بلغ الثالثة عشرة من العمر فليس

بلهجة بدوية محببة، أمام «كرفانتها» في مخيم الريان في منطقة شماليين التابعة لمدينة اعزاز في الريف الشمالي لحلب، تستقبلك أم علي بالسؤال عن أحوالك وتصنع لك كأساً من الشاي. لا تكثر بالدمامل التي ملأت قدميها ويديها. تواظب على عملها في «ليس هناك من يقوم بهذا الحمل عنها» كما تقول، رافعة بصرها إلى السماء وهي ترجو الله أن يديم عليها الصحة لتستطيع إكمال المهمة، وتخبرنا أن هذه الدمامل جاءت «نتيجة القهر وليس العمل».

دفعت أم علي ثمناً مضاعفاً بعد أن فقدت زوجها وولديها وصارت مسؤولة عن عائلة كبيرة ينوء بحملها الرجال، ووجدت نفسها في مخيم الريان بعد أن تنقلت في قرى كثيرة، تشير إلى كرفانتها التي تحميها من برد الشتاء وحر الصيف، كما قالت، وتغص بدمعتها وهي تشكو ظروفها الصعبة، هي المليئة بالعزة والتي أجبرتها الظروف على الشكوى. تقول: «نحن مو بعازة لا كفالة ولا معونة»، فقد انتظرت الكفالة لسنتين بعد أن وثقت المنظمات بياناتها وبيانات أحفادها دون جدوى، فاضطرت إلى العمل في الحصاد والقطاف خمس ساعات يومياً بمبلغ 1250 ليرة سورية (2.5 \$ تقريباً) لا تكفيها ثمن الخبز أمام الغلاء الفاحش الذي تشهده

الحالي، فالعدد كبير وطاقت المنظمات محدودة.

أما العائلات التي لم يشملها نظام الكفالة فتقوم المنظمة، بحسب سراج، بتوزيع منح مالية عليها كل ستة أشهر، كان آخرها في نيسان الماضي عندما قامت المنظمة بتوزيع 500 ألف ليرة تركية على 500 عائلة من الأرامل غير مشمولة بنظام الكفالة، في المخيمات والقرى الحدودية التي حررت في الفترة الأخيرة. كما تقوم المنظمات بتوزيع سلة غذائية وسلّة منظفات وسلّة حفوضات، ولأيتام الأولوية في هذا التوزيع.

أما الأطفال فاقدوا الأبوين فيقول سراج إن المنظمة أنشأت دار أيتام لهم في جرابلس بالتعاون مع منظمة أفكار. كما افتتحت في الریحانية داراً بسعة 1000 طفل فاقد الأبوين، وهي مدينة متكاملة فيها كل الخدمات.

وعن العوائق والصعوبات يقول سراج إن العديد من المنظمات فقدت الثقة بالكثير من سكان المخيمات نظراً لعمليات التحايل المنتشرة من تزوير البيانات وتقديمها لأكثر من منظمة، فتجد عائلات مكفولة من منظمّتين أو أكثر وعائلات غير مكفولة. كما أن هناك الكثير من النساء اللواتي يدعين أنهن أرامل لكنكشف، في حالات كثيرة، أن أزواجهن يعملون في تركيا أو في مناطق أخرى، ليستفدن من نظام الكفالة، أو أنهن مطلقات، ونظام الكفالة لا يدعم هذه الفئة من النساء، فيلجأن إلى تزوير بيانات تثبت موت أزواجهن، ما يعقد عمل المنظمات ويحرم أطفالاً من نظام الكفالة.

يزداد عدد أرامل الشهداء كل يوم، وغالبيةهن يعانين من مصاعب اجتماعية واقتصادية تضاعف من همومهن وآلامهن، بعد أن وجدن أنفسهن وحدهن مسؤولات عن عائلات في ظروف حياتية قاسية، بعد أن قدم أزواجهن حياتهم فداءً للثورة والوطن.



اللوحّة لـ يوسف عبدلكي

يتيم حتى ينتهي من دراسته، وللصعوبات حتى سن الزواج، بينما تنتهي الكفالة في باقي المنظمات في سن الثانية عشرة.

ويؤكد سراج أن المنظمة أحصت جميع الأطفال في مخيمات الريف الشمالي ووثقتهم. ويجري التنسيق مع باقي المنظمات، كمنظمة غراس وأفكار والمستقبل والفجر والشهيد وغيرها، من خلال منصة مشتركة لكفالة هؤلاء الأطفال، وستتم في الشهر القادم كفالة 2000 طفل جديد في المخيمات وما حولها. ووفق آخر الإحصاءات توجد 1800 عائلة من أرامل الشهداء في المخيمات النظامية، وهي مخيمات سجو وضاحية الشهداء والريان والحرمين والإيمان والرسالة والنور. ويحوي مخيم المقاومة الجديد 500 عائلة، كما توجد في العشوائيات 500 عائلة أخرى. ويرى سراج أن العدد يزداد كل يوم، وأن إمكانيات المنظمات غير قادرة على تلبية احتياجات الجميع في الوقت

أما أم محمد فبعد أن قصفت الطائرة منزلهم واستشهد زوجها، مشيت مع أطفالها الثلاثة لعدة أيام لتصل إلى مدينة اعزاز كأرملة شهيد وأم طفل فقد كليته نتيجة القصف، ويحط بها الرحال في مخيم الريان. وهي تقول إن المنظمات رفضت كفالة أولادها لأن أعمارهم تجاوزت 12 سنة، وأكملت: «ولادي قرفوا الدنيا، كل يوم معكرونة. ربطة الخبز بـ200 والبادنجان بـ400 والبندورة بـ500». ساخطة تقول: «ياريت ما صارت هالثورة ولا طلعنا ولا متنا. ولادي فاقدين كل شي». لتنتقد المنظمات بالقول: «بصوروا الولاد وببروحوا ببشحووا عليهم ونحن ما بصير لنا شي».

أم علي ورفيقاتها جزء من المأساة التي خلفتها الحرب، إذ تقدر إحصاءات غير رسمية أن عدد الأرامل تجاوز 200 ألف امرأة، فيما بلغ عدد النازحين في مخيمات الريف الشمالي في منطقة اعزاز وحدها، وفق آخر إحصاء مأخوذ من الوثائق الرسمية لإدارة المخيمات، 147955 نازحاً، يكونون 26039 عائلة تتوزع على تسعة مخيمات.

محمود سراج، مسؤول قسم التعليم والأيتام في هيئة الإغاثة التركية IHH لمخيمات باب السلامة والريف الشمالي، قال لـ«عين المدينة» إن «المنظمة تتكفل ببعض عائلات الأيتام في مخيمات ضاحية سجو ومخيم ضاحية الشهداء القطري في شمارين ومدينة اعزاز وريفها ومارع وريفها. وقد بلغ عدد الأطفال الذين كفلتهم المنظمة حتى الآن 1678 طفلاً». وعن الكفالة أوضح سراج أنها في منظمة IHH تختلف عنها في باقي المنظمات، إذ تبلغ قيمتها 90 ليرة تركية شهرياً لكل طفل



صورة مؤرشفة من الانترنت





## فتاوى الثورة... من ولماذا؟

محمد سرحيل

لعبت الفتاوى دوراً مؤثراً (سلباً وإيجاباً) في مسار الأحداث السورية، سواءً على الصعيد السياسي أو العسكري وحتى الثوري، وذلك لأن الشرائح المحافظة تشكل السواد الأعظم للثائرين على نظام الأسد، وبسبب طبيعة الشعب السوري المتدين عموماً. في هذه المادة نرجع إلى الوراء قليلاً لنستذكر بعض الفتاوى المتقدمة في الثورة السورية، ثم نستعرض أبرز الجهات التي عنيت بها.

### المرحلة الأولى

لأي أوامر يتلقونها بهذا الشأن.

أما في حلب فقد حاول بعض «المشايخ» المحسوبين على النظام تعطيل عدة بيانات تدعى لتوقيعها عدد من العلماء وطلاب العلم أكثر من مرة. وكان محمود عكام من أبرز هؤلاء المعطلين، ولكنه وجد نفسه مضطراً للتوقيع على بيان صدر بتاريخ 7 آب 2011 حمل اسم (بيان علماء حلب) بعد أن حصد توقيعات قرابة 20 عالماً على رأسهم مفتي حلب د. إبراهيم سلقيني ومحدثها د. نور الدين عتر، استنكروا فيه إراقة الدماء واعتداءات الشبيحة على المتظاهرين السلميين وانتهاكهم للمساجد، محمّلين «القيادة» المسؤولية الأكبر، كما طالبوا بحماية المظاهرات وإفساح المجال لحرية التعبير والإسراع في تعديل الدستور.

### المرحلة الثانية

تميزت هذه المرحلة بأنها اتخذت طابع الفتاوى الرسمية الواضحة والتفصيلية، التي أصبحت حاجة ملحة بعد دخول السلاح على خط المواجهة، وبالتالي كان لا بد من التصدي لعشرات النوازل الجديدة التي أمت بالثوار والمقاتلين، كأحكام حمل السلاح وكل ما يتعلق بالمجاهد، وأحكام التصرف بأموال ومؤسسات الدولة التي سيطر عليها الجيش الحر، وأحكام صرف الزكاة، وأحكام التعامل مع الدول، وأحكام الأسرى والمعتقلين والمفقودين، وأيضاً أحكام الغلو والتكفير وغيرها من المسائل المستجدة.

في هذه المرحلة بدأ معظم العلماء وطلاب العلم، ممن شاركوا في المرحلة الأولى، بتشكيل تجمعات علمائية ومكاتب علمية ومراكز للفتوى في معظم أنحاء سورية، كل من موقعه. وبعيداً عن ملف القضاء والمحاكم الشرعية، الذي لن نتطرق إليه في هذه المادة، واصل معظم العلماء والباحثين دورهم في دراسة وإصدار الفتاوى. ففي حلب مثلاً تم الإعلان رسمياً عن تشكيل **جبهة علماء حلب** بعضوية 70 عالماً وداعية، تم التحفظ على أسماء الموجودين منهم داخل سورية (مناطق سيطرة النظام)، فيما تم إشهار أسماء الموجودين منهم خارج سورية. أصدرت الجبهة عدداً من البيانات ولعبت دوراً مهماً في توجيه دفعة الحراك الثوري وضبط عمل الفصائل في محافظة حلب إلى حد ما، عبر بعض المطويات

أخذت طابع المواقف المبدئية من النظام وانتهكاته، وهي تدور في فلك ما يعرف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إذ نظر العلماء فيها للأحداث في سورية ومتغيراتها من جهة موافقتها أو مخالفتها للشريعة، أخذين في الاعتبار قيم الحرية والعدالة والكرامة التي جاء بها الإسلام.

من حمص كانت البداية، فبعد أيام قليلة من بدء الانتفاضة السورية وقّع قرابة 25 عالماً من أبنائها (مطلع نيسان 2011) على بيان حمل اسم (جمعية علماء حمص) طالبوا فيه رأس النظام بجملة مطالب واضحة وصريحة، من أبرزها: السماح بالتظاهر السلمي، وتعديل المادة الثامنة من الدستور، ورفع حالة الطوارئ، وكف يد الأجهزة الأمنية، والسماح بعودة السوريين في المنفى، إضافة إلى إطلاق المعتقلين ومحاسبة القتلة، ومطالب أخرى سقفتها مرتفع!

في دمشق أيضاً كان للعلماء في الأشهر الأولى للثورة عدد من المواقف التي أخذت طابعاً فردياً إلى حد ما. فعلى سبيل المثال في أيار 2011، ومن منبر جامع الحسن في الميدان، أعلن شيخ قراء بلاد الشام محمد كريم راجح استقالته احتجاجاً على التعامل الأمني واعتداء الشبيحة على رواد الجوامع. وكذلك عبّر الشيخ أسامة الرفاعي عن مواقفه الراضية للظلم وللاعتداء على المتظاهرين من منبره في جامع الرفاعي بمنطقة كفر سوسة، حتى أنه أصيب على خلفية اقتحام الجامع من قبل الأمن والشبيحة في ليلة القدر في آب 2011.

أما الموقف الجماعي الأصرح لعلماء دمشق فقد جاء في شباط 2012، حين صدر بيان حمل اسم (رسالة مفتوحة من علماء الشام/ معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون)، وذيّل بتوقيع كبارهم (الأخوين أسامة وسارية الرفاعي وكريم راجح وراتب النابلسي وهشام البرهاني). افتتح البيان بالترحم على شهداء سورية والتبرؤ إلى الله من الدماء المراقّة، ثم أعلن بوضوح موقف العلماء من انتهاكات الجيش الذي دعوا عناصره (ضباطاً ومجندين) إلى عدم المشاركة في القتل وقصف المدن تحت أي ذريعة، وعدم الاستجابة

المجلس عدداً من الفتاوى المتعلقة بقضايا الشأن العام، إلا أنه توقف عقب تأسيس المجلس الإسلامي السوري أيضاً.

**مركز شامنا للدراسات والأبحاث:** وهو مركز علمي بحثي يُعنى بقضايا المجتمع والثورة في سوريا من الناحية الشرعية التأصيلية. تخصص في إعداد الدراسات حول القضايا المستجدة، وعمل على تزويد المجالس والهيئات والتجمعات الثورية والشرعية بالنتائج التي خلص إليها. وقد أنجز عدة أبحاث مهمة من أبرزها: الشورى وتطبيقاتها المعاصرة؛ الهدنة وتطبيقاتها في الثورة السورية؛ القانون العربي الموحد: دراسة نقدية؛ ودراسات أخرى. إلا أنه توقف عن العمل مؤخراً بسبب توقف تمويل أبحاثه.

**المجلس الإسلامي السوري:** وهو هيئة مرجعية شرعية وسطية. أعلن عن تأسيسه منتصف نيسان 2014. وقد ضمّ قرابة 40 رابطة علمية وشرعية من أنحاء سورية، بهدف «تكوين مرجعية شرعية وسطية موحدة للشعب السوري تحافظ على هويته ومسار ثورته» كما جاء في بيانه التأسيسي. تصدى المجلس للعديد من قضايا الشأن العام في سورية، ومن أبرزها فتوى: حكم التدخل الأميركي البري شمال سورية (انظر العدد 79)، وفتوى



التغلب بين الفصائل، وحكم التنسيق مع الأتراك في قتال تنظيم داعش، وغيرها من الفتاوى. ومن أبرز إيجابيات المجلس أنه شكّل إطاراً جامعاً لمعظم الهيئات العلمية السورية على اختلاف مشاربها الفكرية، والتي توقفت عن إصدار الفتاوى والبيانات، باستثناء فصائل السلفية الجهادية التي انسحبت إبان تأسيس المجلس على خلفية نسبة تمثيلها داخله، ولا يزال كل فصيل منها يحوي مكتبا شرعياً خاصاً به يصدر الفتاوى والبيانات، مما أدى إلى إضعاف ثقل المجلس على الأرض إلى حد ما، إذ من الصعوبة بمكان إرضاء فصائل السلفية الجهادية التي لا تزال منتشية بالسلح الذي بين أيديها، والتي لطالما سعت إلى التمايز عن الثورة وتقديم مشروعها على مشروع الثورة وأهدافها.

في 14 أيار الماضي أعلن المجلس الإسلامي السوري عن تشكيل مجلس الإفتاء الذي يضم بعض علماء المجلس وعلماء آخرين من خارجه، وتأتي هذه الخطوة -وفق بيان المجلس- بهدف تعزيز الفتاوى المتعلقة بأمور الشأن العام والنوازل التي تحتاج إلى اجتهادات فقهية تفي بضرورات العصر وحاجته وعدم تفرد المجلس بها. وفي لقاء أجرته «عين المدينة» مع د. عماد الدين خيتي، عضو المجلس الإسلامي السوري، قال: إن إحداث مجلس الإفتاء هو أمر في غاية الأهمية، لأنه يستوعب عدداً أكبر من أهل العلم ممن هم خارج المجلس، ما يعني زيادة المشورة والتباحث في النوازل بينهم، كما أنه يخصص الفتوى بمؤسسة بدلاً من لجنة للفتوى فحسب، الأمر الذي يساهم في تطوير الفتاوى ويزيدها حجّةً وبيانا. وحول إمكانية الوصول إلى مرجعية موحدة للثوار السوريين من خلال مجلس الإفتاء الجديد قال د. خيتي: إن بناء مرجعية موحدة يجتمع عليها السوريون يحتاج وقتاً طويلاً، خصوصاً مع حالة الرفض التي تنتهجها بعض الفصائل. ويضيف: التحديات التي نواجهها كبيرة جداً، في ظل انحسار الثورة وكرهية الناس للحديث بالدين ورفضهم المتدينين!



توقفها عن إصدار البيانات بهدف تحقيق الاندماج مع المجلس الإسلامي السوري.

**رابطة العلماء السوريين:** إحدى منظمات المجتمع المدني المسجلة رسمياً في تركيا، وهي من أبرز الجهات التي اعتنت



بموضوع الفتاوى والتعليم، فقد صدر عنها بدايات الثورة، وعن رئيسها في تلك الفترة الشيخ محمد علي الصابوني، عدد من الفتاوى والبيانات المصوّرة. وتصدى مكتب الفتاوى في الرابطة مئات المسائل والأحكام الفقهية، وهو يضم عدداً من العلماء والباحثين المختصين داخل سورية وخارجها، برئاسة د. مروان القادري. وقد طبعت الرابطة عشرات الكتب والمطويات، من أبرزها كتاب فتاوى الثورة السورية، وكتيب فقه الأولويات. كما أقامت العديد من الدورات التدريبية للدعاة داخل سورية وخارجها. وأيضاً بعد تشكيل المجلس الإسلامي السوري توقفت الرابطة عن إصدار الفتاوى المتعلقة بالشأن العام واكتفت بإصدار الفتاوى الخاصة أو العامة التي لا تتعلق بقضايا سورية الكبرى.

**هيئة الشام الإسلامية:** إحدى الهيئات الإسلامية

السورية البارزة، المحسوبة على تيار السلفية العلمية. يجيب مكتبها العلمي عن الاستفتاءات الخاصة والعامة، المبوبة والمرقمة في موقعها الإلكتروني. ويضم هذا المكتب مجموعة من طلبة العلم والباحثين الشرعيين السوريين،

بعضهم من حملة الشهادات وآخرون ممن لازموا كبار العلماء المعاصرين. اهتمت الهيئة بطباعة وتوزيع المطويات من الفتاوى

وغيرها، ولها كتاب مطبوع بعنوان: الإصدار الأول من «فتاوى الثورة السورية».

**المجلس الشرعي في محافظة حلب:** وهو تجمع لذوي الاختصاص الشرعي في المحافظة (انظر العدد 93). أصدر مكتب البحوث والدراسات في







## حراك السويداء الثوري (٢ من ٢)

فراس علاوي

### السويداء قبل الثورة

كانت علاقة المحافظة بنظام الأسد متوترة نتيجة التهميش الذي مارسه عليها، وكذلك بسبب حصتها من عموم سياساته في جميع المناطق السورية. فكما ذكرنا عمل على تهميش العائلات الكبرى التي لها دور وطني كبير سابق ولها حضور على صعيد المجتمع المحلي، والعمل على دعم عائلات أقل شأنًا، وربما غير معروفة، همها الوحيد هو البقاء في المكانة التي أوصلها إليها الأسد، ولذلك فهي تمارس دور الدعاية له والدفاع عنه، وهو ما فعله في جميع المناطق السورية. لكن العائلات لم تكن تقف بمجملها في خط معين ثابت، فقد انقسمت بين مؤيد للنظام ومعارض له. وقد عرفت عائلات بغالبيتها بدعم النظام مع وجود شخصيات فيها لا توافق على هذا التوجه - كعائلات أبو حمرة وزهر الدين التي ينتمي إليها عصام زهر الدين أحد أبرز ضباط الجيش من السويداء، كما همّش النظام عائلات أخرى وإن حافظ على بعض أبنائها ممن عرفوا بالولاء له، من أمثال عائلات الشويف والنبنواني والمغوش وغيرها.

ولا يقف الانقسام عند الحدود السورية، بل يتعداه إلى موقف الطائفة وانقساماتها اللبنانية واصطفافات زعمائها بين مؤيد للأسد، مثل طلال أرسلان، ووليد جنبلاط المناهض لنظام الأسد، وبالتالي ينتقل هذا الانقسام إلى السويداء بفعل تأثير الزعيمين. لكن الدور الأكبر يلعبه ونام وهاب المعروف بولائه المطلق للأسد، والذي حشد له مستقبلين من الأهالي حين زار السويداء أكثر من مرة، وعمل على تشكيل ميليشيا داعمة له من أبنائها.

ويعدّ الإعلامي فيصل القاسم أبرز أبناء السويداء المعارضين الذين قام النظام بالانتقام منهم، إذ اعتدى الشبيحة على منزله وحوّلوه إلى مقر للدفاع الوطني رفعت فوّه صور رأس النظام. كما كان لأغنية «يا حيف» التي انطلقت في بداية الثورة بصوت الفنان سميح شقير دورٌ في نقل معاناة الثوار من فنان عارض النظام. وكذلك هناك العديد من المفكرين والمثقفين المعارضين من أبناء السويداء.

### مشاركة نسائية

أخذت مظاهرات السويداء طابع المشاركة من الجنسين، فكانت الثائرة إلى جانب الثائر في الاحتجاجات التي ندر أن تقوم دون وجود العنصر النسائي، إذ اعتبر الثوار أن الحرية لا تتجزأ. ولم تكن نساء السويداء يوماً على الحياد من الحراك المدني، وقد أكدن هذا بعدة اعتصامات منددة بالمجازر وباستباحة الدم السوري، منها اعتصام في ساحة تشرين وسط المدينة، واعتصام دوار الجرة، واعتصامات ومظاهرات نسائية عدة. كما لم تخل المدينة من الناشطات، سواء إنسانياً أو إعلامياً أو سياسياً، اللاتي رفضن حكم الاستبداد. وقد لمعت أسماء كثير من السيدات والحرائر في الثورة من محافظة السويداء، ورغم الحصار الأمني لا يزال العديد منهن ينشطن حتى الآن ضمن الحراك الثوري بكل أشكاله.

### رجال الدين

مدينة السويداء ذات لون إثني واحد، إذ ينتمي أهلها إلى طائفة الموحدين الدرّوز التي يسيّر أمورها شيوخ العقل، وهؤلاء ينتمون إلى ثلاث عائلات معروفة هي الهجري والحناوي وجربوع. مهمة شيوخ العقل قيادة الطائفة دينياً وحفظها اجتماعياً وضمان وحدتها وتماسكها، وكانت لهم أدوار كبيرة في تاريخ المحافظة، وقد وقفوا مع أبناء السويداء في ثورتها الأولى إلى جانب سلطان باشا الأطرش. لكن ذلك لم يمنع استغلال بعضهم من نظام الأسد وتجيير مواقعهم لمصلحته، كما فعل مع رجال الدين من الطوائف الأخرى الإسلامية أو المسيحية، في تحية من يقف في وجهه ودعم من يحقق مصالحه. إذ يتهم ناشطو السويداء النظام بتصفية الشيخ أحمد الهجري الذي عرف بدعمه للحراك، من خلال افتعال حادث سير، وتعيين أخيه حكمت بدلاً عنه، وهو الموالي لنظام الأسد والذي استقدم من فنزويلا حيث كان يقيم ليحل محل أخيه. وكذلك عمل النظام على تحجيم بعض الشيوخ الذين لهم دور اجتماعي فعال في السويداء وما حولها.

### حركة رجال الكرامة

لم يقتصر الحراك على الوجه المدني الشعبي بل انتقل إلى بعض المشايخ الذين عملوا على تجنيب السويداء الانخراط مع



النظام، وفي الوقت ذاته الدفاع عنها وعن المكون الدرزي. تقول شمس، وهي ناشطة في المجتمع المدني: انطلقت الحركة في بداية العام 2015 لحماية السويداء من تدخلات الآخرين، خاصة بعدما روج النظام أن جبهة النصرة تريد مهاجمتها، إذ افتعل معركة بلدة داما والتي غيرت من توجه ما سمي بعدها رجال الكرامة، حين اكتشف من حضر المعركة أن إطلاق النار عليهم كان من قبل قوات الأمن، وقد قتل فيها أحد إخوة الشيخ أبو فهد وحيد البلعوس. فتغيرت بعدها توجهات الحركة، وطالب مشايخها بوقف تجنيد أبناء السويداء وإبقائهم فيها للدفاع عنها وعدم ذهابهم للقتال في مناطق أخرى، كما عملوا على تحييد القوى الأمنية. حاول النظام اعتقال بعض رجال الدين لجس نبض الشارع ومعرفة قدرته واستفزازاً له فكان الرد سريعاً عبر الهجوم على المقرات الأمنية وإخلاء سبيل من اعتقل. وقال الشيخ البلعوس جملته الشهيرة: «يا فوق الأرض بكرامة يا تحت الأرض بكرامة».

رحبت الطبقات الاجتماعية المختلفة بالعمل الوطني الذي كان يقوده البلعوس، وإن تحفظت بعض الأصوات لعدم إعطاء طابع ديني للحركة ورجالها. رحب البلعوس بهذه الأصوات فأطلق ومن معه على أنفسهم وصف «مشايخ الكرامة»، وحول أعلام وشعارات الحركة إلى بيارق أطلقوا عليها تسميات تخص الكرامة، مثل بيارق العز وبيارق الحق وبيارق الكرامة. وأصبحت لحركة مشايخ الكرامة كلمة حقيقية، خرج من خلالها بعض أبناء المحافظة من المؤسسة العسكرية وتوقفوا عن الالتحاق بالخدمة الإلزامية، كما عملوا على منع الضغط العسكري من السويداء على درعا، ومنعوا خروج السلاح من الثكنات، وكذلك عملوا على منع خروج المحاصيل الزراعية إلى خارج المحافظة بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي. اعتبرت هذه الأعمال رسائل تهديد للنظام. ورغم أن البلعوس لم يتدخل في السياسة العامة للبلاد إلا من خلال انتقاد الظلم النظام وعنجهيته والملاحقات الأمنية المحلية، ولكن هذا الأمر لم يرق للقوى الأمنية فعملت على إنهاء الحركة باستهداف الشيخ وحيد بمفخخة أدت إلى مقتله على الفور وإصابة الكثيرين، ثم تضجير ثان أمام المشفى بعد نقل المصابين إليه بحوالي النصف ساعة، راح ضحيته 50 شخصاً معظمهم من رجال الكرامة ومن أفراد عائلاتهم الذين

حضروا للاطمئنان عليهم. أدى هذا العمل إلى تراجع دور الحركة وأقول نجمها، واستطاع النظام فرض حضوره مجدداً بالاعتماد على الأجهزة الأمنية والقوى المحلية التي أنشأها ودعمها في المحافظة.

### الوضع الاقتصادي

تعيش السويداء، الفقيرة أصلاً والمهمشة، حصاراً اقتصادياً وتجويعاً متعمداً الغرض منه إبقاء الأهالي في دائرة الحاجة والبحث عن لقمة العيش. وبسبب سيطرة الشبيحة وبعض أبناء العائلات المؤيدة تشهد المحافظة حالة من التدهور الأمني وانتشار السلاح وحوادث القتل والسلب والخطف بغرض الحصول على الفدية. وبسبب البطالة ظهرت حالات التعاطي والإدمان بين الشباب.

كما تعيش المحافظة حالة من الغلاء ونقص المواد الأساسية، إذ يلعب تجار الأزمات من بعض أصحاب محلات الجملة والمستودعات دوراً في احتكار المواد لتحقيق أرباح كبيرة على حساب المهشين واللاجئين. وكذلك ازدهرت تجارة النفط والمحروقات، والتي تتم بحماية وعلم الميليشيات ورجال الأمن الذين حققوا أرباحاً كبيرة من تهريب النفط من القرى الحدودية ومن قلب السويداء وبيعها لداعش وللمناطق المحيطة ولدرعا، وقد تم بيع صهاريج المازوت والبنزين المخصصة للمحافظة أيضاً مما تسبب في أزمة محروقات. كذلك تعاني المحافظة من تراجع البنية التحتية والخدمات العلاجية والدوائية والانقطاع الطويل للكهرباء والماء، مما تسبب في أعباء إضافية دفعت الكثيرين إلى الهجرة إلى أوروبا، في موجة جديدة تذكر بموجة بداية القرن الماضي إلى الأمريكيتين.



هذه، في النهاية، إضاءة بسيطة على ما حدث في السويداء. قد لا تكون أحاطت بمختلف الجوانب لكن دون إغفال مقصود، بل بسبب قلة التفاصيل نتيجة التعقيم على المحافظة. وتبقى هذه الصفحات محاولة لرصد حالها وإخراج قليل مما حدث فيها إلى دائرة الضوء.

رغم ذلك، وباعتراف أبناء السويداء أنفسهم، فإن حراكها الثوري ظل حراكاً ضعيفاً لم يتطور عن التجارب البسيطة والمحاولات الخجولة. وهناك من يصفه بأنه حراك نخبوي تخوضه النخب الفكرية والاجتماعية والعلمية، وهي، في طبيعتها، محاربة من قبل النظام، وأغلبها ينتمي إلى عائلات معارضة للبعث، وبعضهم يقيم خارج سوريا منذ سنوات.



رجال الكرامة

## رجال من الثورة

أبو محمد الإدلبي

عبد اللطيف في بداية الأربعينات من عمره، لديه ابنتان وثلاثة صبيان. من قرية الراعي في ريف حلب الشمالي، على الحدود مع تركيا. كان قبل الثورة يعمل في مشفى الرازي في حلب كعامل صيانة، كما يزاول مهنة جلي البلاط ليتغلب على صعوبات الحياة المادية.

لنشرب القهوة». في اليوم التالي تم كل شيء كما هو مخطط له، ودفن الشهيد بين أهله في حي الهلك. ولما عاد الشرطي ولم ير الجثة عرف أن أحداً ما قد أخذها لكنه لم يبال، كما أن أحداً لم يسأله عنها نتيجة البيروقراطية المنتشرة في أجهزة الدولة.

بعد أشهر طويلة استدعى مدير المشفى عبد اللطيف إلى مكتبه، ولما حضر قال له: «لقد عرفت المخبرات أن عائلتك في عنتاب، وأنت تعمل هنا. أنا لا أستطيع التغطية عليك. لقد أصبح وضعك خطيراً». كان المدير تركمانياً مثل عبد اللطيف، وكان يعتبر أن من واجبه إخطار «بن جماعته» بالأخطار المحدقة به. في اليوم التالي كان عبد اللطيف قد غادر المدينة متجهاً إلى عنتاب، ومنذ ذلك اليوم لم يعد إلى حلب.

بدأ يبحث عن عمل في المدينة التركية. جال على كل معارفه. كلما سمع بفرصة كان يقدم أوراقه ويعودونه أنه سيحظى بالموافقة، لكن أحداً لم يف بوعده. لماذا؟ سألته مستغرباً، فأجاب: «لست محسوباً على تكتل أو جماعة. نفس عقلية النظام. المشكلة أن الذين حظيوا بفرصة عمل هم المحسوبون على التنفيذيين، والمشكلة الأكبر أن بعضهم كان إلى فترة قصيرة - وربما لا زال إلى الآن - من المعادين للثورة، وبعضهم كان - وربما لا زال إلى الآن أيضاً - مخبراً للنظام». في أحد الأيام، وبينما كان يمشي في الشارع، إذ بأحد يربت على كتفه. التفت فرأى رجلاً في الستينات، سلم عليه وبادره بالسؤال: «ألم تعرفني؟»، فأجابه عبد اللطيف بأدب جم: «لا، يا عم». قال الرجل: «أنا والد الشهيد الذي ساعدتنا في تهريب جثته من مشفى الرازي». ذهبوا إلى أحد المقاهي وشربا الشاي. شكره الرجل كثيراً ثم أخرج رزمة من المال قائلاً: «لن أنسى معروفك. خذ ما تشاء، فأنت تستحق ذلك». فأجاب عبد اللطيف: «لم أقم بذلك من أجل المال. أديت واجبي فقط». غادر الرجل المهني وأكمل عبد اللطيف سيره في شوارع عنتاب. كانت الدموع تملأ عينيه، وكان يحس بالسعادة والفرح!!

دمت الأخلاق ومستقيم في كل شيء. يخدم الناس ولو على حسابه. يؤدي بشكل دائم واجباته الاجتماعية من فرح أو عزاء أو مرض. يسهر كل يوم تقريباً في حي الهلك بحلب مع أصدقائه وأقاربه.

في بداية العمل المسلح أخذ عائلته إلى مدينة عنتاب التركية حيث استأجر بيتاً متواضعاً أسكنهم فيه، وعاد وحده إلى حلب. كان يأتي كل شهر أو شهرين إلى عنتاب يمد عائلته بما تبقى من راتبه، ويبقى ليومين ثم يعود إلى عمله. استطاع ابنه البكر، وهو في حوالي العشرين من عمره، أن يجد عملاً في شركة خاصة يؤمن له دخلاً معقولاً ليساعد والده في مصروف العائلة.

في أحد الأيام ذهب إلى المشفى الذي يقع في مناطق سيطرة النظام فوجد جثة شاب على الأرض، يجلس على مسافة منها شرطي.. يحرسها. سلم على الشرطي الذي يعرفه جيداً، وسأله عن الجثة وصاحبها، فقال إنها لأحد أفراد الجيش الحر، قتل في اليوم السابق ووضع في المشفى، وكلف الشرطي بحراسته، فإن أتى أحد من أقاربه يلقي القبض عليه، ويعرفون صاحب الجثة.

أكمل عبد اللطيف طريقه إلى غرفة الصيانة. وأثناء عمله وإذ بهاتفه يرن وأحد أصدقائه يطلب منه موعداً لزيارته في البيت. اتفقا على اللقاء مساءً. جاء الشاب على الموعد. وبعد أن شربا الشاي وتجادبا أطراف الحديث قليلاً، قال: «البارحة صار اشتباك بيننا وبين قوات النظام على أطراف حي الهلك، واستشهد أحد الثوار من أقاربنا، وجثته موجودة في مشفى الرازي، ووالده يريد أخذها ودفنها في الحي بعد أن يودعه أهله وأحبابه، ونريدك أن تساعدنا في هذا العمل».

فكر عبد اللطيف لدقائق ثم أجاب: «تعال غداً في السادسة والنصف صباحاً ومعك شاب آخر في سيارة سوزوكي، وتوقفوا قبل المشفى بخمسين متراً. في الساعة تدخلون المشفى بحالة إسعاف، وتوقفون السيارة في المكان الذي توجد فيه الجثة، فتحملونها إلى السيارة وتضعون غطاء عليها، بينما أكون قد أخذت الشرطي





## شهادة معتقل: من الجوية إلى سجن حماة

المحامي سامر طلاس

عمري 50 عاماً، مهندس مدني. كنت أعمل في مكتبي الخاص بحماة، بالإضافة إلى تعهدات البناء. اعتقلني فرع المخابرات الجوية في 12 شباط 2014. في البداية بقيت لعدة أيام دون طعام، مع تعذيب يومي، دون تهمة أو سبب. كان التعذيب لتحطيمنا كي ندلي بالمعلومات التي يريدونها أو نوقع على قائمة الجرائم التي أعدوها لإرسالنا إلى سجن صيدنايا والمحكمة الميدانية.

زملاءهم، وخاصة الضعفاء وكبار السن، نيابة عن السجن الذي أوكل إليهم هذه المهمة، بالإضافة إلى استئثارهم بحصص كبيرة من الطعام ومساحة واسعة للجلوس والنوم؛ هذه الأمور جعلت الانتقال إلى صالات الإيداع أسوأ من التحقيق. أمضيت في تلك الصالة ما يقارب 10 أشهر، أحلت بعدها إلى محكمة الإرهاب لأحاكم بتهم لم أسمع بها من قبل، مثل دعم المجموعات الإرهابية والتواصل مع دول أجنبية وإثارة الفتنة الطائفية. لم تكن محكمة بل فرع أمن آخر، والقاضي كأنه ضابط في الفرع بنفس الأسلوب والحقد والكرهية، دون دفاع أو سماع أقوال لدحض ما جاء في الضبط الذي انتزع بالتعذيب المميت.

بعد كل ذلك أحلت إلى سجن عدرا قرب دمشق. عادت لي الحياة من جديد لأنه سجن مدني، حصلت على ثياب وطعام وأدوية، تحسنت حالتي الصحية، ولكني بقيت قيد المحاكمة. وبعد ستة أشهر أحلت إلى سجن حماة وأنا ما أزال قيد المحاكمة في محكمة الإرهاب بدمشق.

خرجت من السجن بتاريخ 25 كانون الثاني 2017 مع مجموعة من المعتقلين، سيق بعضهم للخدمة العسكرية الاحتياطية والبعض مطلوب لفروع أخرى غير التي اعتقلتني. وصلت إلى منزلي وكنت أعرف أنني لن أجد أحداً لأن زوجتي وأولادي غادروا إلى ولاية قونيا التركية. بقيت في حماة لمدة 20 يوم متخوفاً من إعادة اعتقالني ثم تدبرت أمر الخروج باتجاه إدلب لأصل إلى الحدود وأدخل بعدها إلى تركيا عن طريق المهربين. خلال هذه التجربة كونت صداقات جديدة، وما زلت على تواصل مع رفاقي داخل سجن حماة عن طريق الهاتف. اكتشفت أن المجتمع السوري رائع رغم كل شيء. كنا في سجن حماة من مختلف الأفكار والعقائد؛ كان بيننا الإسلامي والعلماني، السنّي والعلوي والإسماعيلي. وعندما بدأ الاستعصاء أصبحنا يداً واحدة في مواجهة السجن، حتى أن الشخص الأساسي في قيادة الاستعصاء، والذي كان يلقب أبو جيفارا، هو من مدينة سلمية الإسماعيلية، وتهتمته المشاركة في نشاط ثوري.

كان حقدهم ظاهراً تجاه كل جامعي، سواء أكان مهندساً أم طبيباً أو معلماً أو أي صفة تحمل شهادة علمية. كان تحقير حملة الشهادات هو السمّة السائدة لدى عناصر الأمن، مثل: «جيبولنا هالجحش المهندس»، «مينو هذا الكر الدكتور؟»، «نحننا علمناهن، ونحننا عطيناهن الشهادة، ونحننا منسحبنا منهن وقت ما بدنا». قال لي المحقق: «ولا كر، سحبت منك الشهادة. إن شا الله مفكر حالك أخذنا بفهمتك؟! ولك نحننا عطيناك الهندسة كرم أخلاق مننا. ولك السيد الرئيس مفضل عليك، علمك وعطاك شهدات. صار بدك حرية وتعملو ثورة!»

بعد معاناة ثلاثة أشهر تقريباً تمت إحالتي إلى دمشق لاستكمال التحقيق في مطار المزة العسكري، لأقبع هناك سنتاً كاملة. بدأ مسلسل تعذيب جديد من الضرب بالعصا البلاستيكية المسماة الأخضر الإبراهيمي، انتقالاً إلى الكريج الرباعي الأسود، إلى الشبح لساعات طويلة. كان يشرف على التعذيب في حماة مساعد اسمه فرحان من بلدة الربيعة الموالية، أما في مطار المزة فأصبح المحقق مقدماً اسمه سهيل من السويداء، إلا أنه لا يقل حقداً وعنجهية وتسلطاً عن المساعد، بل زاد عليه بتلفظه بشتائم تسيء إلى الإسلام وتكرر أن الثورة سلفية وعرعورية وغيرها من الألفاظ التي لا تنم إلا عن حقد أسود فتحت له الثورة فسحة لإخراج ما كتبه لسنوات طويلة.

بقيت شهرين رهن التحقيق في مطار المزة، وبعدها تمت إحالتي للإيداع في إحدى صالاته الرياضية. كانت بطول 15 متراً وعرض 8، وفيها 830 معتقلاً. عندما أدخلت إليها رأيت وجوهاً شاحبة وأجساماً هزيلة وسمعت أنات ألم تخرج من كافة الأرجاء التي تكس فيها البشر فوق بعضهم. كلما تقدمت في عمق الصالة ازدادت الرائحة الكريهة التي تصل من الأنف مباشرة إلى الرأس لتوحي بهول المنظر وفضاعة المصاب. مستنقع مكوناته أجساد عارية من البشر تلاصقت حتى تعفنت وأصابتها التقرحات الجلدية والدمامل والجرب. دخلت إلى ذلك المكان على أمل التخلص من التعذيب أثناء التحقيق، إلا أن الوضع الصحي العام وتصرفات بعض المعتقلين الذين انقلبوا داخل السجن إلى شبيحة يعذبون



## مجاهدو القرم في ساحات القتال السورية

د. علي حافظ

صورة لعبد الكريم القرمي لدى تلاوته بيان يحث فيه المسلمين على الجهاد ضد روسيا في القرم

قلما يأتي أحد على ذكر المهاجرين من شبه جزيرة القرم الذين جاؤوا للقتال في سورية، رغم وجودهم السابق في «جيش المهاجرين والأنصار»، ومشاركتهم الفعالة في الكثير من معارك الشمال السوري.

هو وزيراً لحرب داعش. في حين شكل خلفه سيف الله الشيشاني «جيش الخلافة» وبايع جبهة النصر، لكنه قتل في إحدى معارك الهجوم على سجن حلب، ليأتي صلاح الدين الشيشاني ويعيد جيش المهاجرين والأنصار، مبايعاً أمير إمارة القوقاز أبو محمد الداغستاني.

بمناسبة مرور 70 عاماً على تهجير تزار القرم المسلمين، أصدر جيش المهاجرين والأنصار بياناً ألقاه عبد الكريم القرمي، حث فيه على الجهاد والعمل العسكري لمواجهة روسيا. ما دفع بجزء منهم إلى العودة إلى منطقة الدونباس أواخر 2014، والقتال مع الأوكرانيين ضد الروس الذين احتلوا شبه الجزيرة آنذاك. في بداية عام 2015 قام جهاديو القرم بعضيان داخل جيش المهاجرين والأنصار، فقد أراد رمضان القرمي أن يستلم القيادة ويوقف وصاية الشيشان، مما تسبب في خروج قسم من جيش المهاجرين والأنصار وتشكيلهم «جماعة القرم» المستقلة تحت قيادته. في حين حفظ قسم آخر الولاء لنائب الأمير عبد الكريم القرمي و«البيت القرمي».

بعد هذا الانقسام ضعفت قدرتهم القتالية وقل عديدهم، ولم يعودوا قادرين على الرباط في الجبهات ولا حتى على الحفاظ على مواقعهم. وربما لذلك قاموا بتصوير فيديو ترويجي وهم يتدربون مع أطفال، لجذب دماء جديدة إلى صفوفهم والحصول على تمويل من شيوخ الخليج. وبعد ذلك عُين القاضي الشرعي السعودي المعتصم بالله أميراً لجيش المهاجرين والأنصار، ما جعل عبد الكريم القرمي والموالين له يفكرون جدياً في الانضمام إلى فصيل جهادي آخر.

في بداية تشرين الأول 2015 نُشر شريط على موقع يوتيوب، يُظهر عشرات من «جماعة القرم» يمتطون أربع بيكابات وشاحنة، مسلحين ببنادق كلاشنيكوف ومدافع رشاشة. تحدث الزعيم القرمي في جزء من الشريط بالروسية، داعياً جميع الجهاديين إلى التوحد تحت لواء «تنظيم القاعدة في بلاد الشام»: مبايعاً هو ومقاتليه زعيمه أيمن الظواهري. ونتيجة لذلك انضمت «جماعة القرم» التي انفصلت عن جيش المهاجرين والأنصار إلى جبهة النصر، ومنذ ذلك الحين لم يعد يسمع شيء عنها. لا يوجد تأكيد على اختفاء جماعة القرم ولكن يعتقد أنها لم تعد موجودة، وإن وجدت فأعدادها ضئيلة وتأثيرها محدود جداً.

قبل ظهور داعش توزع المهاجرون من بلدان رابطة الدول المستقلة على مجموعات عرقية انتشرت هنا وهناك، لكن أغلبهم انضم في ما بعد إلى جيش المهاجرين والأنصار الذي تألف نصفه من الجهاديين الشيشان، وظهر عام 2012، بعد عام من بدء الثورة السورية.

عين الزعيم الشيشاني دوكو عماروف، الذي قتل عام 2014، عبد الكريم القرمي ممثلاً له في سورية. وهو من مواليد أوزبكستان عام 1974، لكن أصوله تنحدر من عائلة تتارية رحلت من القرم عام 1944. درس عبد الكريم الهندسة المعمارية في جامعة طشقند، وقاتل في الشيشان، وله باع طويل في مساندة جهادي جمهوريات القوقاز ضد روسيا. سجن لأربع سنوات (2007 - 2011) بعد عودته إلى مسقط رأس عائلته في مدينة سيمفروبول. يعد من مؤسسي جيش المهاجرين والأنصار في سورية، وصار نائب أميره. وكذلك أسس كتيبة «البيت القرمي»، التي أخذت تضم إلى صفوفها أغلب القادمين من شبه جزيرة القرم عبر تركيا القربية. وقد تمركز هؤلاء بداية في ريف حلب الشمالي، وبلغ عددهم 200 تقريباً، جلهم من شباب تزار القرم عديمي الخبرة، لذلك كانوا يُرسلون غالباً لرعاية الجرحى، أو يُستخدمون وقوداً للمعارك ضد قوات الأسد. وقد اشتكوا مراراً من استغلال المقاتلين الشيشان ذوي الخبرة لهم، والذين حاولوا دائماً دفعهم إلى الصفوف الأولى. ومع ذلك جلب مقاتلو القرم الشهرة أول مرة لجيش المهاجرين والأنصار في نيسان 2013، حين قاد أحدهم، واسمه رمضان، وأصله تترى من مدينة نيجنيغورسك، شاحنة تحمل 7 أطنان من المتفجرات مهد انفجارها لاقتحام مشفى الكندي في «معركة فك الأسرى» بحلب. رمضان شاب في منتصف العمر، التحق بالجهاد في اليوم التالي لوفاة والدته.

تشكيل «الدولة الإسلامية»، وانتشارها السريع، وسيطرتها على نصف أراضي سورية والعراق؛ لم يعجب العديد من الفصائل الجهادية الأخرى في سورية، لا سيما تنظيم القاعدة الذي حاول وضعها تحت سيطرته. وقد حدث صدام عنيف بين التنظيمين، ما جعل المجموعات الجهادية الصغيرة نوعاً ما في وضع حرج، وفرض عليها تحديد موقفها بسرعة. أدت المواجهة بين الكباريين إلى انقسام أولئك المقاتلين، فغادر أمير جيش المهاجرين والأنصار، عمر الشيشاني، ونصف مقاتلي الجيش معه، ليبيعوا البغدادي ويصبح





## رمضانات مختلفة لسوريين عديدين

مصطفى خطيب\*

الشارع الممتد من ساحة الجمهورية وحتى الأمنيات في ولاية كيليس التركية، يتحول منذ الثامنة من مساء كل يوم إلى مهرجان احتفالي بشهر رمضان، تمنع السيارات من المرور فيه لتغزوه الكتل البشرية المبهجة تحت زينة كتبت عليها آيات قرآنية. بسطات من ألعاب الأطفال، وطاولات ممتدة يجلس إليها الناس ليشربوا الشاي والقهوة ويأكلوا المثلجات، ومدينة ألعاب مطاطية تحتل ساحة الجمهورية.

حتى صلاة التراويح كما نعرفها باتت تهمة اقتيد إثرها بعض أئمة المساجد للعقوبة، فهي ثماني ركعات فقط في عرف التنظيم. أما النساء فقد منعن من المشي في الطرقات أثناء الصيام رغم حجابهن الكامل. كما فرض التنظيم قوانين صارمة تمنع المسحر من عمله، منتقداً المظاهر التي كانت تسم رمضان في سورية.

أما في مدينة حلب التي كان لها طقوسها الخاصة في رمضان، إذ كانت الأسواق تتزين بكل الأطعمة والفواكه وينتشر في شوارعها بائعو العصير والتمر هندي والمعروك وكعك العيد الذي تملأ رائحته أرجاء المكان، ومحلات الفول والحمص، وجلسات السهر والمدائح النبوية في المساجد، وتقف كل محلات الطعام تقريباً حتى قبيل الإفطار؛ فقد بات المشهد مغايراً كما تقول السيدة سعاد: «صرت ترى المحلات مفتوحة وكان رمضان لم يمر من هنا. الأشخاص الذين يحملون سجاثرهم في الطرقات باتوا أكثر من الصائمين. غاب المدفع الرمضاني، وحتى المسحر الذي كان يحمل طبلته وعصا مخصوصة ينقر بها ثلاث نقرات بحركة متزنة وينادي بصوت جميل بأشعار وأدعية ليوقظك: «اصحى يا نايم، وحد الدايم» و«قوموا على سحوركن، إجا النبي يزوركن» والكثير من الأذكار، غاب عن شوارع المدينة. لم يبق إلا بعض البائعين الذين وجدوا في هذا الشهر مصدر رزق فوضعوا براميلهم الزرقاء التي تحوي بعض العصائر والسوس والتمر هندي».

النازحون في كيليس يحتلون الطرقات ويطربون رغم امتعاضهم من طريقة المسحر التركي الذي بات حديث سوريّ الولاية بلباسه التقليدي وطبله المزعج الذي ينقل لهم صوتاً أشبه بالقذائف التي كانت تتساقط على رؤوسهم في البلاد التي فروا منها، وكان الانكشارية عادوا ولكن هذه المرة على شكل مسحر.

جلست في إحدى الزوايا المطلّة على الشارع. كان السوريون العنصر الأهم والأكثر، هم بائعو الألعاب وهم عمال المقاهي، هم الرواد وهم المشترون، وكان الكثير من الفرحة كان ينقصهم. هي غصة المظاهر الرمضانية القديمة التي كانت تتجلى في صور مشابهة، وتختلف في أحيان عن بلاد النزوح. كركوز وعواظ اللذين رأيناها في طفولتنا على شاشات التلفاز كحالة من الشخصياتية في مقاهي دمشق وحلب، يمشون أمام الجموع، والسلطان يمر بين الأطفال وخلفه حاشيته بلباس عثماني تقليدي. بائعو السوس والتمر هندي والمعروك يحتلون الزوايا بأعداد كبيرة. كل شيء يوحي بعودة الحياة. وكل ما ينقصنا لاستكمال مظاهر رمضان في الناكرة هو صوت المدفع، «الطوب» كما كان يسمى في مدينة حلب، معلناً بداية الشهر الكريم، ليستمر حتى نهايته بإطلاق طلقة عند الإفطار والسحور كنوع من التقاليد.

أبو حسين، الذي يعيش في إحدى قرى جبل الزاوية كنزح بعد أن خرج من مدينة حلب مع المهجرين في نهاية العام الماضي، قال إن احتفاليات رمضان غابت تماماً: «لا زينة في الشوارع ولا أهلاً رمضان مكتوبة على قصاصات خضراء في المساجد». صلاة التراويح اختصرت إلى ثماني ركعات فقط، والنساء منعن من زيارة المساجد وضيق الخناق عليهن. المسحر غاب عن المشهد، وفوانيس رمضان لم تعد ترى في أيدي الأطفال. اقتصر ما يوحي برمضان على بعض بسطات السوس والتمر هندي وبأسعار باهظة تجاوزت 200 ليرة للكيليس.

في معدان في الرقة التي يسيطر عليها تنظيم الدولة كان الأمر أكثر صعوبة. يقول أبو صطيف، أحد سكان البلدة:

\* من أسرة «عين المدينة». وقد أعد هذا النص ضمن ورشة تدريبية على كتابة الفيتشر نظمها الشبكة السورية للإعلام المطبوع.





## جواز عقوبة أم امتياز؟! كيف حول «البسبور» حياة اللاجئين إلى جحيم؟

ياسين أبو فاضل\*

كفورست جامب، يندفع أبو خالد الرجل الستيني مسرعاً تجاه الموج البشري الطائف حول مبنى القنصلية السورية، في منطقة تقسيم، لتأدية فروض الطاعة المفروضة على السوريين الراغبين باستخراج أو تجديد جوازات سفرهم.

الأسبوع، ربما ليفهم كيف تسير الأمور هناك، أو ربما ليشعر بقليل من التفاؤل لا أكثر، أما أمل الحصول على الجواز بالطرق الشرعية فتبخر منذ أول يوم حل فيه أمام هذا المبنى المشؤوم. يشاهد أبو خالد بتحسر مقطع فيديو يوضح كيف يستخرج الياباني جواز سفره في أقل من دقيقتين، وبدون المرور على أي موظف، ثم يتمتم زافراً: «إي مثل عندنا بفرد شكل». صحيح أن جواز السفر السوري لا يسمن ولا يغني من جوع، إلا أن غيابه عن شخص يقيم خارج بلاده سيجعل منه حتماً سجيناً لا لاجئاً، فتركيا ودول الخليج مثلاً، لا تقبل بمنح السوري حق «الإقامة» على أراضيها ما لم يكن يحمل جواز سفر ساري المفعول.

ورغم أن هذا الجواز نجح باقتحام موسوعة غينيس للأرقام القياسية كأعلى جواز سفر في العالم، بعد القرار الأخير لحكومة النظام، إلا أنه لا يزال الأضعف على مستوى العالم وفق تصنيف هنلي آند بارتنرز.

يتنهد الاستشاري القانوني حسام الأحمد قائلاً: «تحول الجواز السوري إلى كابوس يلاحق اللاجئين أينما رحلوا، وقد نجح النظام بدهائه بالتحكم بنا وابتزازنا حتى ونحن خارج البلد». ما هي إلا أسابيع حتى شوهد أبو خالد خارجاً من باب القنصلية حاملاً بيده بطاقة تؤكد حصوله على موعد يمكنه من استكمال إجراءات الحصول على جواز سفره الجديد لكن بعد أن دفع لسمسار، أو ما يحب السوريون أن يلقبوه بالفتاح، وليترك أبو خالد مكانه لقرابة ثلاثة ملايين لاجئ سوري آخر أحصتهم مديرية الهجرة التركية ليؤدوا طقوس الحج وفروض الطاعة، ويغادر الستيني مكتئباً، متألماً، منقطع النفس، متسائلاً: إلى متى سيستمر سيزيف السوري بدفع الثمن؟!\*

يقف الرجل منهكاً، متوقفاً على الإحساس في دوره، حاملاً مظلمته ذات الطابع الكلاسيكي، متأملاً ذلك النسر الذهبي الشاحب الملتصق برداء جواز سفره الأزرق الأنيق. لم يخطر ببال ذي الشعر الأبيض الملتف أنه سيضطر يوماً، بعد أن هرب بمن تبقى من عائلته إلى تركيا، إلى الوقوف مستجدياً أبسط حقوقه من مؤسسة تمثل نظاماً طالما هتف هو وأبناؤه لسنوات مضت لأجل إسقاطه.

يتوسط أبو خالد رتلاً يتجمهر كل صباح أملاً بتجاوز باب القنصلية عله يحظى بدور يمكنه لاحقاً، إن حالفه الحظ، من الحصول على جواز سفر جديد.

غايته قد تبدو بعيون غير السوريين بسيطة، لكن بالتأكيد ليست هي الحال بالنسبة له ولغيره من السوريين، ممن يرون جواز السفر كقيد يستعصي على الكسر ووزناته تبقئهم وتحشرهم في عالم الأسر والقهر.

ورغم أن القوانين الدولية والمحلية وصفت جواز السفر كأحد الحقوق المدنية للمواطنين، إلا أن جهابذة المشرعين لم يخطر ببالهم أن هذا الحق قد يتحول إلى لعنة، أو حجر عثرة ضخمة سيحملها اللاجئ السوري على ظهره أينما حل وارتحل. ميّز أبو خالد حال اقترابه من المكان كلمات طالما ألفها من قبيل «وقف عالدور يا مزوء» و«بعد من قدام الباب يا فهمان». لكن هذه المرة بنكهة تركية، فحراس القنصلية (السكريوتي) أصيبوا على ما يبدو بعدوى الفوقية والاستعلاء من موظفي القنصلية في الداخل.

يتقدم العجوز لحل خلاف بين مراجعين جدد والسكويري، علّ الأمور تسير بأسرع من الوتيرة المعتادة، إذ لم ييأس الرجل من القدوم يومياً إلى مبنى القنصلية طيلة أيام

\* من أسرة «سوريتنا». وقد أعد هذا النص ضمن ورشة تدريبية على كتابة الفيتشر نظمها الشبكة السورية للإعلام المطبوع.



# نزوة الأربعين.. زيجات مهددة بعد عشرات السنين\*

وضحة عثمان\*

لا تكتفي أم علي وهي تقوم بأعمالها المنزلية اليومية بمراقبة ابنها الصغير فحسب، بل تبقى عينها مفتوحة على أبو علي الذي ازدادت وقفاته أمام المرأة في الأونة الأخيرة، لا سيما بعد ما طرأ عليه من تغيير واضح في عاداته وزاد غيابيه عن البيت وضجره السريع منها، مع تغيرات تعرفها الزوجة بحدسها وخبرتها.

لم تتهاون خديجة في إصلاح الموقف، وبشكل مكثف وجدي تمكنت من إقناع زوجها بالعدول عن الزواج والعودة الى منزله، وإصلاح ما تخرّب.

ما قامت به خديجة هو ما تنصح به نورة جبران الأخصائية الاجتماعية في حديثها لموقع أسأل طبيبك: «يخفق الكثير من الرجال والنساء في التعامل مع أزمة منتصف العمر لدى الشريك، فبدأ كل منهما بانتقاد الآخر ولومه والتشكيك فيه، ما يُفاقم الخلافات بين الزوجين ويزيد الفجوة بينهما».

وعن الإرشادات التي تنصح بها جبران لتجنب وتخفيف حدة الأزمة تقول: «إذا كانت الوقاية أسلم وأفضل من العلاج، فلا بد من الحرص على بناء أفراد أسوياء نفسياً ومشبعين عاطفياً منذ طفولتهم مروراً بالمرحلة والشباب وصولاً إلى الحياة الزوجية، والتي تعتبر الفترة الأطول والأكثر صعوبة في حياة الإنسان. فالأشخاص الذين يحصلون على الحب والاهتمام والعلاقات الزوجية المرضية، تتدنى بشدة احتمالية مواجهتهم لأي صعوبات في منتصف العمر، والتي تتطلب ذكاءً شديداً وتسامحاً مع الشريك، فما يمر فيه حدث طبيعي «لا إرادي».

إلى ذلك لم تعثر أم علي على ما يفيدها في محنتها أثناء بحثها سوى أقوال مبعثرة هنا وهناك، فلا دراسات ولا بحوث مختصة تقدم شرحاً واضحاً لما يمر به زوجها، حتى أن مؤلف كتاب «التعامل مع أزمة منتصف العمر» الدكتور «ديريك ميلن»، أخصائي علم النفس السريري، يقول: «إن البحث العلمي عن أزمة منتصف العمر قليل جداً، وإن ما لدينا من البيانات العلمية محدود من حيث النوعية والدراسات الموجودة، وإن أغلب ما صدر من المواد المكتوبة عن أزمة منتصف العمر بشكل كتب، أنتجه صحفيون بدلاً من الباحثين المُدرّبين، وتكون هذه الإصدارات سطحية ووصفية».

ومن الملاحظ أن ما يمر به الرجال والنساء في ما يسمى بأزمة منتصف العمر لا يطول كثيراً، إذ تحمل الأزمة في ذاتها أسباب انتهائها، فما كان دافعاً يصبح مثبطاً، ويعود الرجل إلى الملل من جديد، وسرعان ما يتراجع إلى كهوف سلامته وأمنه، مؤثراً ما عرفه واعتاده ووثق به، وهو ما انتهت إليه المسرحية الكوميديّة «العيال كبرت» حين يتراجع الزوج عن السفر للزواج من امرأة أخرى، ويرمي حقيبتها في آخر لحظة قبيل سفره، ويضم أبناءه إليه.

يزيل أبو علي بشكل يومي وبقلق بالغ بعض الشيبات اللواتي يظهرن على أطراف شعره، وقد دأب بعدها على صبغه مسبلاً الصباغ على شارببيه أيضاً، متحملاً سخرية أم علي وعدوانيتها وتوترها الذي انعكس على البيت كله.

تسرّ أم علي لصديقتها أم محمد ما يقلقها من طبع زوجها المستجدة، متمنية لو توقف الأمر على الشعر والصباغ والضجر من البيت، أو عند المبالغة في ألوان اللباس، بل تؤكد جازمة أن زوجها يمر «بجھلة الأربعين» وأن الرجل قد دخل في حالة نفسية مرضية.

لم يكن ما تمر به أم علي مشكلة أم عمر مع زوجها، بل كانت باختلاقه المشاكل لأسباب تافهة أو دون أسباب، وتوجيهه الانتقادات اللاذعة لها باستمرار حول كل شيء (ملابسها وطريقة طهيها وترتيبها حتى لأثاث منزلها)، ومن ثم بقاؤه لأوقات طويلة خارج المنزل، حتى علمت بعدها أنه تزوج من فتاة تصغره بعشرين عاماً، فما كان من أم عمر إلا أن تركت منزلها مصطحبة أطفالها وغادرت حياته.

يرجع الكثير من الأخصائيين أن يكون الخوف من الموت والشعور بتخطي العمر الجميل والاقتراب من النهاية هو ما يدفع أبو علي وأبو عمر وغيرهما إلى التمرد، وهو ما يشير إليه الاختصاصي النفسي «ياسر العمر» بقوله: «إن من أهم العوامل التي تدفع الرجال والنساء إلى الوقوع في تلك الأزمة هو الفراغ الذي يعيشه الجنسان في تلك المرحلة، نتيجة التقاعد من العمل أحياناً أو انشغال كل طرف عن الآخر بأمور الحياة، مما يولد عند الرجل أو المرأة أو كليهما تصرفات غريبة».

فشل الزواج بعد سنين طويلة غريب وغير مفهوم لمن لم يمر بهذه التجربة، ولا غرابة مما أشارت إليه إحصائية رسمية صدرت عن الهيئة السورية لشؤون الأسرة من تزايد نسب الطلاق في المجتمع السوري، إذ بلغ أكثر من ثمانية آلاف حالة في دمشق وريفها عام 2015 تتضمن المناطق التي تحت سيطرة النظام فقط. بالطبع، إن أسباب ارتفاع حالات الطلاق لا تعود في سنوات الحرب إلى أزمة سن الأربعين فقط، لكن العجز عن فهم الشريك واستيعابه يتضاعف في الأزمات. فخديجة التي زوجت أبناءها الأربعة وبناتها الثلاث، لم تسمح لظروف الحرب أن تأخذ زوجها منها، بعد أن تزوج بشكل صوري من زميلة له في العمل.

\* من أسرة «زيتون». وقد أعدت هذا النص ضمن ورشة تدريبية على كتابة الفيديتشر نظمها الشبكة السورية للإعلام المطبوع.



## عن زبغنيو بريجنسكي وزمانه

لتنحول سوريا، ومعها العراق، إلى أرض مثالية لإقامة «الدولة الإسلامية» بعدما خرج تنظيم الدولة عن هيمنة منظمة القاعدة وتصدر مشهد التوحش والفظاعات.

سئل بريجنسكي، في أعقاب صعود منظمة القاعدة وانقلابها على راعيها الأميركي، عما إذا كان يشعر بالندم على فكرته باستخدام الجهاديين الإسلاميين ضد السوفييت، فأجاب قائلاً: «ما هو الأهم من وجهة نظر التاريخ: ظهور طالبان أم نهاية الحرب الباردة؟ ظهور بضعة إسلاميين متحمسين أم تحرر أوروبا الوسطى والشرقية؟». بهذا المنطق «الاستراتيجي» كان بريجنسكي يفكر، بعيداً عن أي اهتمام بمصائر مجتمعات وملايين البشر، فهو صاحب الكتاب الشهير «رقعة الشطرنج الكبرى». فالعالم، بالنسبة له، لا يبدو كونه رقعة شطرنج يلعبها شخصان، وأحجارها دول وجماعات وبشر. مجرد قطع بلا حياة، تكسب قيمتها فقط مما يرسم لها عقل اللاعب كلي القدرة، لا يقيد حريته شيء غير قدرة خصمه.

هؤلاء الـ«بضعة إسلاميين متحمسين» أقاموا دولتهم على أرض العراق والشام يا بريجنسكي، تحاربها دولتك منذ ثلاث سنوات بلا نتائج عسكرية باهرة على مثال حرب أفغانستان. وتحولوا إلى مشكلة عالمية، يضربون ضرباتهم الدامية حيث يشاؤون، ويحددون أولويات كل الدول، ويدفعون بلاد الديمقراطية وحقوق الإنسان والرفاه الاقتصادي إلى التراجع عن كل المكتسبات الحضارية التي تحققت عبر قرون لمصلحة الأمن أولاً، ويشكلون حافزاً لصعود التيارات الأكثر انغلاقاً ورجعية في أوروبا وأميركا. مات بريجنسكي، يرقص ترامب اليوم بالسيف في ديارنا. ثمة ما يدعو إلى القلق.



مات، قبل أيام، مستشار الأمن القومي الأسبق في عهد الرئيس الأميركي جيمي كارتر، المفكر الاستراتيجي من أصل بولوني، زبغنيو بريجنسكي. وقد ارتبط اسمه، في أذهاننا، بنهاية الحرب الباردة والجهاد الإسلامي ضد الاحتلال السوفييتي في أفغانستان.

بريجنسكي صاحب فكرة محاربة «إمبراطورية الشر»، بلغة صقور الإدارات الأميركية، عن طريق دعم المجاهدين الأفغان. وقد تبنت إدارة الجمهوري رونالد ريغان هذه السياسة وحققت نجاحاً كبيراً بمعيار ضرب الوجود العسكري السوفييتي في أفغانستان، وما شكلته هذه الهزيمة من مقدمة لانهاية



بكر صدقي

الإمبراطورية السوفييتية وتفككها.

من منظورنا اليوم يمكننا إعادة قراءة ذلك «النصر» الأميركي-الأفغاني بالنظر إلى النتائج بعيدة المدى التي تداعت عن ذلك الحدث التاريخي الكبير. صحيح أنه لا بريجنسكي ولا وكالة المخابرات المركزية التي دعمت الجهاديين القادمين من مختلف البلدان قد أوجدا التيار الجهادي من العدم، ولكن يمكننا القول إنه لولا نجاح الجهاديين في دحر الاحتلال السوفييتي لما شهدنا ذلك الصعود والانتشار الكبيرين لمنظمة القاعدة ولل فكرة الجهادية عموماً. ليس بالحافز القليل أن تتمكن حفنة من المقاتلين من هزيمة القوة العسكرية لإحدى الدولتين العظميين، في ذلك الوقت، حتى لو تم ذلك بدعم عسكري كبير من الدولة العظمى الثانية. نصر بهذا الحجم من شأنه أن يشجع آلاف الشبان المسلمين من مختلف أنحاء العالم على الالتحاق بالقوة الضاربة التي ستعيد إلى الإسلام أمجاد الإمبراطورية الأولى، وفقاً لخيالهم المريض. فما كان محض أحلام طوباوية تحقق في الواقع، وتحولت أفغانستان إلى «أرض محررة»، يمكن الانطلاق منها لضرب «الغرب المتسلط الكافر» كما تقضي تعاليم السلفية الجهادية.

وهكذا، سرعان ما تحول الوحش الذي ربته المخابرات المركزية

الأميركية، بإيحاء من بريجنسكي، لمواجهة الشيوعية العالمية، إلى «شبح يحوم فوق الغرب» على تعبير ماركس وإنجلز في البيان الشيوعي، فيؤرق شعوره بالأمان المتولد من القوة، ويضرب ضربه الشهيدية في الحادي عشر من أيلول في نيويورك، تليها عمليات إرهابية متنقلة بين العواصم الأوروبية وبعض العواصم العربية والإسلامية. هذه بعض تركة حرب أفغانستان، تركت تضرر منها عالم المسلمين أكثر بكثير مما تضررت الولايات المتحدة وأوروبا. فرداً على ضرب البرجين العملاقين لمبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك، قامت إدارة جورج بوش الابن باحتلال كل من أفغانستان والعراق، لتحول البلدين إلى خراب كبير يصلح أرضاً خصيبة لانتعاش السلفية الجهادية التي باتت مؤهلة لإقامة سلطتها وفقاً لنظرية «إدارة التوحش». وهو ما حصل في العراق أولاً، في أعقاب الاحتلال الأميركي، عام 2003، حين أسس الجهادي الأردني أبو مصعب الزرقاوي تنظيم «الدولة الإسلامية» فاقترب الفظاعات المصورة التي تداولها الجهاديون في أربع جهات الأرض وتقاطروا إلى العراق كذئاب شمات رائحة الدم. ثم جاءت النكبة السورية على يد الجزار بشار الأسد -راعي الإرهاب والإرهابيين-





## التعفيش والترفيق إحدى وسائل النظام في تأسيس الميليشيات

أحمد عيشة

لم يترك النظام السوري، المتمركز حول شخص وحوله العائلة المنحدرة من وسط ريفي مذهبي، أي وسيلة، مهما كانت قدارتها، إلا واستخدمها للحفاظ على سلطته. وكان توزيع الامتيازات معلماً رئيسياً في سياساته منذ عهد الأسد الأب، وما زال مستمراً، بأشكال أشجع وأكثر تنوعاً، مع الابن.

ازداد عدد الميليشيات والجهات الداعمة لها، ومع تنوع الداعمين كان التفاوت في المزايا والعطايا وأحياناً النفوذ. فبعض المجموعات أسسها أصحاب مصانع خاصة من بقايا عمالهم، مستغلين حاجة هؤلاء إلى تأمين أساسيات العيش بالحدود الدنيا. لكن أكثر الميليشيات حصولاً على المزايا، وبالتالي القوة، هي تلك المرتبطة مع الحرس الثوري الإيراني ورموزه الطائفيين. وتبدأ الامتيازات من الطعام، إلى ما يتقاضوه من رواتب، وصولاً إلى سلطتهم وقت المعارك على عناصر وضباط جيش النظام.

بعد سيطرة النظام والميليشيات، بدعم من الطيران الروسي، على أحياء شرق حلب في نهاية 2016؛ أصبحت المهمة الأساسية لهؤلاء الشبيحة المتوزعين على تشكيلات عديدة هي نهب البيوت والتحرش بالناس، وخاصة بالنساء. وعندما لم يكتفوا بسرقة البيوت الفقيرة في شرق المدينة، أو ما تبقى منها، انتقلوا ليعمموا تجربتهم على غرب المدينة، فتحوّلت حلب إلى مرتع للشبيحة ولعمليات البلطجة التي يقومون بها في وضوح النهار، كما عمليات القتل والسرقية، دون الاكتراث بأي عواقب غير متوقعة في الأساس.

فلم يعد التعفيش مقتصرًا على المدن التي كان يوجد فيها مقاتلو الجيش الحر، حيث كانت السرقات تنسب إلى «الإرهابيين» بل توسع ليشمل معظم المدن السورية، ولم يعد يسلم من تشبيحهم حتى من كان موالياً لنظامهم ولرئيسهم. وصولاً إلى تأسيس ما يُعرف بشركات «الترفيق»، وهي شركات حراسة تتكون من الشبيحة والزرعان، تؤمّن الحماية لقوافل السيارات الشاحنة وبضائعها وفق تسعيرات مختلفة تبعاً لنوع المواد المحمولة.

والآن يحاول بعض رسمي النظام تطويق هذه الظواهر والحد منها، ولكن ذلك لن يتحقق بعد استشراس أمراء الحرب الصغار الذين رباهم الأسد وأسهموا في انتصاراته الموضوعية الأخيرة. وكالعادة سيستسلم مكافحو الفساد المزعمون إلى أنه طالما أن ذلك يحصل ضمن الدائرة «الوطنية» التي يتطلبها استمرار الأسد إلى الأبد، فلا ضير!

ومحور هذا النهج هو: بمقدار ما تخدم النظام وتفرعته يمكنك أن تكون جزءاً من شبكة المحسوبيات التي يربطها. وستأتيك المكاسب وفقاً لقربك من / وبعدك عن مركز الشبكة، ناهيك عن روابط أخرى. فتشكّلت السلطة على مستويات لشبكة المحسوبية وفق تلك العلاقة-القاعدة، ففي المحور يأتي الرئيس وعائلته، تليهم شبكة كبار ضباط الأمن وقادة الفرق العسكرية الهامة، ثم شبكة «البرجوازية الجديدة»، وأخيراً شبكة صغار المنتفعين، وعنها سيتم الحديث هنا.

فبعد اندلاع الثورة بمدّة قصيرة أخذ النظام ينشر مخبريه من البعثيين كعناصر رديفة للمخابرات التي صار شغلها أكبر من طاقتها، بالمراقبة والملاحقة والاعتقال والتعذيب ومواجهة المتظاهرين وإطلاق الرصاص عليهم وخطف الناشطين وغيره، فأوكلت جزءاً من مهامها القدرة إلى هؤلاء «الكتبة» الصغار، والمتمثلة في جمع المعلومات وكتابة التقارير، والذهاب إلى المساجد حيث كانت تنطلق المظاهرات، وافتعال أعمال استفزازية مع المتظاهرين، وضربهم أحياناً، كل هذا مقابل الفئات المعنوي والمادي الذي تقدمه الأجهزة، إذ تؤمّن لهم أحياناً ربطة الخبز أو أسطوانة الغاز أو بعض المواد التموينية الأخرى، في وقت صار فيه تقنين هذه المواد طريقة حياة، والأفضلية فيها لمن يدخل هذه الشبكة.

ثم انتقل النظام خطوة أخرى بأن أخذ يشرك هؤلاء الكسبة الصغار، وبعد دورات تدريبية قصيرة، في إقامة الحواجز على مداخل الأحياء بحجة حمايتها، وذلك لإحكام المزيد من الرقابة على الناس. وبالطبع ليست هناك قواعد لسلوك عناصر الحواجز، فمن التفتيش وطلب الهويات، إلى التحرش بالنساء، إلى فرض «الخوة» أو الإتاوة على سائقي الباصات والسرافيس، من علب الدخان والمنت والسندويش وبعض المال، وكله دعماً لمن يقوم ب«حمايتك». حتى صار الأمر معروفاً للجميع، من مشاة وراكبي سيارات النقل العامة والخاصة وأصحاب الشاحنات الصغيرة والكبيرة. فليس مهماً ماذا تنقل، ومن معك، حتى إن كان مطلوباً للنظام، الأمر كله يتعلق بمقدار ما تدفع. إلى درجة صار فيها الحاجز بالنسبة إلى الشبيحة نقطة جذب لجمع الثروة، وربما كانت الحواجز على مداخل مدينة حلب والطرق الواصلة إليها خير مثال على ذلك.





## دور جيش إدلب الحر في معركة الأميركان ضد القاعدة

عبد الرحمن المصري  
3- newsdeeply أيار  
ترجمة مأمون حليبي

في أيلول 2016 اندمجت ثلاث قوى للمتمردين ذات توجه وطني وشكلت جيش إدلب الحر، التابع للجيش السوري الحر. نظرياً، سيقاقل هذا التشكيل الجديد كلاً من الجماعات الجهادية والقوات الموالية للحكومة في محافظة إدلب.

مركز قيادته جنوب إدلب ويُقدّر عدد رجاله بـ 6200 مقاتل، على جبهات جنوب اللاذقية وغرب حلب وشمال حماة. وقد قال نوار أوليفر، الخبير العسكري السوري، إن جيش إدلب الحر هو «مشروع أميركي 100%». تصل الأسلحة والمساعدات المالية إلى جيش إدلب الحر عن طريق غرفة (الموم) الواقعة في أنقرة، ومن المعروف أن هذه الغرفة تُدار بشكل أساسي من قبل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية مع إشراف تركي. حتى الآن، لم ينخرط جيش إدلب الحر عسكرياً بالفعالية التي كان يأملها كثير من المتمردين. فقد لعب دوراً متوسطاً إلى جانب الآخرين في معركة حلب الشرقية العام الماضي، وكثيراً ما شوهدت قواته تفتح النار في جبهات جنوب اللاذقية وغرب حلب.

بالرغم من وجود حالات تعاون فيها جيش إدلب الحر مع هيئة تحرير الشام وقوات أخرى متشددة، إلا أن هذا الجيش ظل هدفاً لهجمات مشتبهة من قبل جماعات جهادية. يقول العقيد فارس البيوش، وهو نائب سابق لقائد جيش إدلب الحر، إن غرفة الموم تعمل على مشروع جديد لدمج 17 جماعة من الجيش السوري الحر في فصيل واحد، أو على الأقل للعمل من خلال غرفة عمليات موحدة. ويُضيف أن إجمالي عديد قوات هذا الائتلاف الجديد سيكون تقريباً بين 30 ألف إلى 35 ألف رجل، ومن المتوقع أن يشمل على جماعات مثل جيش إدلب الحر، وجيش النصر، والفرقة الساحلية، وفيلق الشام، وتجمع فاستقم. ووفقاً لما يقوله البيوش، فإن جماعات الجيش الحر التي تعمل مع تركيا في درع الفرات ليست ضمن هذا الاندماج المقترح.

يقول العقيد البيوش: «هذه المرة ستتحقق الوحدة. وعلى هيئة تحرير الشام أن تجري حساباتها بشكل مختلف، إذ لن يكون الأمر مثلما كان عندما كانت تهاجم كل فصيل بمفرده».

شارك جيش إدلب الحر في معارك ضد القوات الموالية للحكومة على مدار الشهور السبعة الماضية، إلا أنه كان عاجزاً عن مواصلة الهجوم وبقي لابعاً أقل أهمية من الفصائل المرتبطة بالقاعدة، واضطر عملياً إلى ربط أعماله بالخطط والعمليات العسكرية للجماعات المتطرفة المحلية.

إدلب هي المحافظة الوحيدة الواقعة تحت سيطرة شبه تامة للمتمردين المعادين للأسد، وطوال العامين الأخيرين كانت، إلى حد كبير، تحت هيمنة الفصائل الإسلامية بما فيها جبهة فتح الشام، التي اتخذت مؤخراً اسم هيئة تحرير الشام بعد أن ضمت إليها العديد من الجماعات الأخرى. وقد استهدفت الهيئة تقريباً كل الجماعات اللاإسلامية في المنطقة، خصوصاً تلك التي لها ارتباطات غربية كالفصائل التي تُشكل جيش إدلب الحر. إضافة إلى ذلك، تجعل الهيمنة الجهادية في إدلب المحافظة هدفاً محتملاً لحملة قصف ممنهجة يشنها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة وتكون شبيهة بالحملة ضد تنظيم الدولة الإسلامية. ويزداد هذا الاحتمال بينما يبتعد تركيز الولايات المتحدة عن الإطاحة بالأسد، وسط سعي دولي يستهدف مواقع القاعدة في سوريا. وإن لم يُحوّل جيش إدلب الحر بمواجهة القاعدة، وفي نهاية المطاف قتالها في إدلب، فإن هذا الجيش قد يواجه استهدافاً متزايداً من قبل هيئة تحرير الشام بغرض دفع جماعات الجيش الحر إلى التخلي عن مُثلها الوطنيّة ودعمها الغربي.

### من هو جيش إدلب الحر؟

قامت ثلاث جماعات من الجيش السوري الحر بالاندماج مُشكلت جيش إدلب الحر: الفرقة الشمالية، والفرقة 13، ولواء صقور الجبل. وقد زوّدت هذه التشكيلات بصواريخ التاوا الأمريكية الصنع ابتداءً من عام 2013. يعمل جيش إدلب الحر، الذي يقع





## امتحان الشيخ بوطاقة

مثل عشرات غيره، فاستعار بندقية وراح يطلق النار في الهواء ثم أفقياً ليردي حسن مرعي. وهو عسكري كان في إجازة وأراد المشاركة في «تشيع زميله»، وفق ما قالت صفحات موالية على الفيسبوك اتهم بعضها جري أنه فعل ذلك عن قصد ثم لاذ بالفرار. بعد أسبوعين ظهر القاتل في مقام الشيخ يوسف بوربعو، المعروف بـ«بوطاقة» والمقدس لدى العلويين، ليقسم أمام شيخ المقام وعلى المصحف إنه لم يقصد قتل مرعي، وأنه لا يعرفه ولا يعرف زوجته ولا أهله، نافية شائعات تحدثت عن دوافع ونية مبيتة للقتل. وبعد القسم، وحسب مقطع مصور، خضع جري لاختبار الطاقة (الفتحة) في جدار المقام، وهو اختبار كذب يحاول فيه المختبر أن يمرّ خلال فتحة تضيق من الداخل إلى الخارج، فإن نجح فهو صادق في قسمه وبريء مما نسب إليه، وإلا فهو كاذب. نجح جري بصعوبة في فحص الطاقة، وأثبت للشهود ولآلاف المعلقين الذين تعاطفوا معه على الفيسبوك أنه بريء.

فتحة في العنق، حسب ما شرحت منشورات فيسبوكية اتهمت «الدولة» بالتقصير. ولا يبدو أن ونوس استسلم لمصيره المأساوي، قبل أن تلم به حادثة أخرى بإلقاء القبض عليه متلبساً بتاجر البنزين بعبوات أكثر من 100 ليتر حسب ما قالت شرطة مدينة القدموس. بينما نقلت منشورات تضامنت معه في صفحات كبرى رواية أخرى تتلخص في أنه كان يحمل عبوة صغيرة 10 ليتر فقط من البنزين جلبها بعد رحلة مضيئة إلى قرية عين حسان في القدموس، وأنه اشتراها لتغذية مولدة الكهرباء عندما يجوع ويلزمه تشغيل خلاط الطعام. ويعبر المتضامنون مع ونوس عن غضبهم من الشرطة التي لم تقم وزناً للبلط الجريح بل أهانتته وضربتته وألقته في السجن بتهمة التهريب.

❖ ❖ ❖

في قرية (كرتو) بريف طرطوس، في آذار الماضي، أثناء جنازة قتيل في جيش الأسد، أخذ الحماس بالشباب فادي جري مأخذة ليطلق النار احتفالاً بـ«الشهيد».

قبل عام ونصف كان سومر ونوس، ابن ضيعة (معرين الصليب) التابعة لمصياف، مزهواً بنفسه كصف ضابط في حرس نظام الأسد الجمهوري، يطلق الصواريخ دون حساب على جبهات داريا. ومع كل بناء يدخله جيش النظام كانت لونوس حصته من الغنائم، لكن فجأة تغير كل شيء إلى غير رجعة.

أصيب الشاب، ابن الستة وعشرين عاماً آنذاك، بطلقة رشاش متفجرة حطمت فكه وكادت تودي بحياته، ومن حينها وهو يخضع لعمليات جراحية دون فائدة. إذ يستحيل، حسب قدرة الأطباء العسكريين الذين عالجه، أن يعود الضم إلى وظائفه السابقة. أطلق الشاب، ونجوم فيسبوك متعاطفون معه، مناشدات تحض «أهل الخير» على مساعدة «الشهيد الحي» بالتبرع لجمع تكاليف علاجه في الخارج. لأنه، وهو الأب لطفلين، والأخ لشهيد، والفقير المعدم الذي يسكن وأسرتة غرفة واحدة دون مرافق، يعجز عن أي عمل وهو في الحالة هذه يأكل طعاماً مطحوناً عبر





# كيليس في رمضان

